مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذا كتاب فى جهود الصهيونية فى اختلاق الكيان الصهيونى ، فى قلب الأمة العربية الإسلامية بفلسطين .

وفكرة إقامة الكيان الصهيونى بفلسطين ، فكرة سبق بها الاستعمار الغربى الصهاينة أنفسهم ، منذ أن وطئت أقدامه أرض الأمة العربية فى أوخر القرن الثامن عشر بقيادة المستعمر الفرنسى نابليون بونابرت الذى احتل مصر بجيوشه فى سنة ١٧٩٨م .

كان الاستعمار الفرنسى السابق إلى دعوة اليهود لإقامة وطن لهم فى فلسطين العربية ، على أن يكونوا عونًا له ، ولكن الجيش الفرنسى اضطر إلى مغادرة الأراضى المصرية فى سنة ١٨٠١م ، ومن يومها بدأ الاستعمار البريطانى يفكر فى احتلال مصر ، ويعمل بدأب من أجل اغتصاب أرض فلسطين إلى أن احتل مصر فى سنة ١٨٨٢م ، فبدأ يخطط لاغتصاب فلسطين .

ولم يكن اغتصاب أرض فلسطين العربية ، ومنحها لليهود هدفًا للاستعمار الفرنسى ، أو الاستعمار الإنجليزى وحدهما ، بل هدف الاستعمار الغربى بصفة عامة ؛ إذ إن النوايا الاستعمارية بدءًا من فرنسا ، وانتهاء بالولايات المتحدة ، وكل استعمار مسيحى كاثوليكى / بروتستانتى غربى ـ واحدة، وهى فصل شطرى العالم العربى الإسلامى : شطره الأسيوى عن شطره الإفريقى ، ذلك لأن الاستعمار الإمبريالى الغربى بهذا التقسيم يستطيع أن يحقق مصالحه المادية فى المنطقة العربية، وفى قسمىّ العالم الشرقى والغربى ؛ لأن هذا الجزء من العالم = أرض فلسطين

العربية هو حلقة الوصل بين شطرى العالم الشرقى والغربى ـ ومركز المصالح للمستعمر الغربى فى قلب العالم العربى والإسلامى فى الوقت نفسه .

لهذا لم تتخلف الدول الاستعمارية كلها ، مع اختلاف توجهاتها عن تقديم المساعدة للصهيونية مثل : فرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا النازية ، وإيطاليا الفاشية ، وروسيا الشيوعية ، والولايات المتحدة ، وكل الدول الأوربية ـ والغربية الأخرى ، بدرجات متفاوتة ، فهم جميعًا ممثلون للإمبريالية الغربية (١) .

ولما كان إثم العدوان على فلسطين مساوقًا لظهور فكرة القومية فى أوربا ، فقد ساوقه أيضًا نشوء فكرة القومية الصهيونية ، ويعنى هذا باختصار أن القومية الصهيونية خرجت من رحم القومية الأوربية ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، على أساس عرقى فى كل من القومية الأوربية ، والقومية الصهيونية ، وعند هذه النقطة تلاقت مصالح كل من الاستعمار الغربى والصهيونى منذ سنة ١٧٩٨م .

قامت الدول الاستعمارية بمساعدة الحركة الصهيونية على اغتصاب فلسطين وضرب العالم الإسلامى ، وجنى ثمار ذلك من مكاسب مادية بحتة ، وكانت الدول الإمبريالية الغربية مدفوعة بطلب ثأر قديم بينها وبين الإسلام الذى اجتذب عالم الإمبراطورية المسيحية الرومانية الشرقية بأكمله ، فدخل فى الإسلام ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إرادة تحقيق مصالح أوجدتها ظروف الاستعمار فى العصر الحديث ، كان آخرها إرادة الوصول إلى آبار النفط العربى .

ولقد كان التفكير فى إقامة الكيان الصهيونى فى قلب العالم العربى ضمن خطة الاستيلاء على العالم العربى ـ على أساس أن وجود الكيان الصهيونى فى قلبه يساعد على إضعافه ، فلا يستطيع مقاومة خطط الاستعمار ، كما يؤجل بعث صحوة إسلامية ، ونهضة عربية من جديد ، وفوق ذلك فإن وجود الكيان الصهيونى فى قلب العالم العربى يكون بمثابة قاعدة إمدادات عسكرية تمد القوات الغربية بالسلاح فى حالة الإغارة على العالم الإسلامى ، وسوقًا عظمى لبيع السلاح للدول المتخالفة فى المنطقة ، فيتحقق المكسب مرتين :

---

(١) سيصدر عقب صدور هذا الكتاب ـ بإذن الله ومشيئته ـ كتاب : جهود الغرب فى اختلاق الكيان الصهيونى .

الأولى : ثمن المبيع من السلاح .

والثانية : إضعاف دول المنطقة العربية ، وزرع الإحن بين حكامها ، كما فعلت مع كل من إيران والعراق حتى أنهكتهما ، قبل أن تجهز على تلك الأخيرة ، كما أنه يمكّن لتلك الدولة الصنيعة أن تكون يد الاستعمار الطويلة التى يبطش بها الشعوب العربية التى ترفض التعاون معه ، أو تتمرد على سياسات الغرب ، كما فعلت بالشعب المصرى وحكومته فى حرب يونيو ١٩٦٧م .

هذا بالإضافة إلى كون الكيان الصهيونى محطة ، أو إدارة لإحداث الأزمات الاقتصادية ، والفتن ـ تتبع « إدارة صنع الأزمات المركزية » بالبنتاجون .

لقد تسابقت الدول الغربية فى مساعدة اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، ضمن المشروع الاستعمارى ، وكانت إنجلترا فى الطليعة ، ومن ثم فقد كانت أكثرهم حصولاً على ثمار المشروع ، إلى أن أصبحت الولايات المتحدة صاحبة الكلمة والنفوذ ، وسيدة العالم إلى حين ظهور سيد آخر جديد .

بجانب جهود الاستعمار فى اختلاق الكيان الصهيونى ، نشطت الصهيونية برجالها من أصحاب الإرادة القوية، والتصميم الحديدى، وقوة العزيمة، والإخلاص لمشروعهم غير المشروع ، سواء الصهاينة الدينيون منهم أم العلمانيون .

* * *

والآن دخلت القضية منعطفًا خطيرًا ـ بتمكين الرئيس « جورج بوش » الابن للصهيونية ، فذات مساء (من أبريل ٢٠٠٤) أعلن التلفاز المصرى فى « أهم الأنباء) أن الرئيس « جورج بوش » الابن ـ ابن « بوش الأب » ـ اللذين دمرا العراق مرتين تدميرًا شاملاً فى سنتى ١٩٩١م ، وسنة ٢٠٠٣م ـ قد صرح بـ «لاءات أربع هى :

١ ـ لا للعودة إلى خط الهدنة بين العرب والصهاينة .

٢ ـ لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم السليبة .

٣ ـ لا لتفكيك المستوطنات الصهيونية [المقامة بدون شرعية] فى الضفة الغربية.

٤ ـ لا لجميع القرارات الصادرة من الهيئة العامة للأمم المتحدة التى تعطى أى حق ، فى أى شىء للفلسطينيين ، أو أية إدانة للدولة الصهيونية العنصرية .

ولأن هذا النبأ المهم العاجل ، كان مختصًا باللاءات (البوشية) فلم يشر «أهم الأنباء » إلى : نعم التى أنعم بها « البوش » فى نفس الخطاب على كبير شياطين الصهيونية « شارون » = نعم لتصفية رجال المقاومة الفلسطينية بحيث لا يبقى منهم أحد ، حماية لأمن أبناء صهيون ، و« بنت صهيون » .

وبوش يفعل ذلك عن إيمان عقدى ـ وعقيدة نفعية معًا ، فهو ينتمى إلى منظمة « من ولدوا من جديد » وهى منظمة بروتستانتية متعصبة ، ينتمى إليها نصف الشعب الأمريكى يتقدمهم الرئيس بوش ، وفريقه الذى يمثل أغلبية طاغية فى الإدارة الأمريكية ، وهم يعتقدون بالنبوءات التوراتية ، ويعدونها أساس فكرهم فى قراءة التاريخ وتفسيره .

وتعد « منظمة من ولدوا من جديد » نفسها « يد الله » التى ستحقق إرادة الله ، بهزيمة قوى الشر ، فى إطار الرؤى الصهيونية المسيحية ، بزعمهم ، تحقيقًا لنبوءة التوراة بحسب التفسير المسيحى الصهيونى ، إذ كلم الرب موسى قائلاً : «كلم بنى إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان [فلسطين] فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم ، وتمحون كل تصاويرهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها ؛ لأنى أعطيتكم الأرض لكى تملكوها ، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا فى أعينكم ، ومناخس فى جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها ، فيكون أنى أفعل بكم ، كما هممت أن أفعل بهم » (١) .

وهذا الوعد التوراتى يحتم القضاء على أعداء الكيان الصهيونى ، أى على جميع الفلسطينين ـ بحسب الفهم المسيحى الصهيونى = أى المسيحى الصهيونى من غير اليهود ، ومن هنا فإن تصريحات « بوش » صادرة عن إيمان وعقيدة بضرورة و... أرض يهودية ، لا يجتمع فيها أحد من غير يهود

---

(١) سفر العدد ٣٣/ ٥١ : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، وراجع أيضًا : سفر الخروج ٣٣/ ١، ٢ ، ٣٤/ ١١ ، ٣٤/ ٢٤ ، ٣٤/ ٢٧ .

وهذا يلخص فكر كلاً من الاستعمار الأمريكى / والصهيونية فى القضية الفلسطينية ، فى إبادة الفلسطينيين ـ تحقيقًا لنبوءة التوراة ـ بحسب فهمهم لها .

الأمريكيون بقيادة «بوش» يفعلون ذلك ـ والإعلاميون العرب فى الوقت نفسه يشيدون بالتقدم الأمريكى فى حل مشكلة الشرق = نكبة فلسطين ، ويشيدون بالحرية الأمريكية ، والسلام الأمريكى ، ويتسابقون فى الاسترضاء الأمريكى ، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)﴾ [الزخرف] ، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١)﴾ [يوسف] .

وحفظ الله العلى القدير السياسى المصرى المحترم عمرو موسى الذى قال : «إن المحافظين الجدد أخطر من اللوبى الصهيونى ، إنهم أشد تطرفًا وغلواً ، ولا أعتقد أن الإدارة الأمريكية وعلى رأسها « جورج بوش » رأس المحافظين الجدد ، وصل بهم الحد إلى أن يعدوا الكيان الصهيونى بضمانات مقدمًا مثل :.إعطائه وعدًا بالاستيلاء على كل أرض فلسطين ، وإنهاء قضية اللاجئين بالشكل الذى تم، ولم أكن أعتقد أبدًا أن سياسة دولة كبرى تصل إلى هذا الحد من الانحياز للكيان الصهيونى » (١) .

إن عبث الولايات المتحدة وتابعها « الكيان الصهيونى » قد زاد ، كما زادت استهانتهم بالأمة العربية والإسلامية ، وعاثوا فى أرض المسلمين فسادًا ، وأفنوا الحرث والنسل بما لا يجب السكوت عنه شرعًا ، ولهذا دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ـ محمد سيد طنطاوى ـ الذى يمثل أكبر مرجعية إسلامية فى العالم الإسلامى ، إلى التصدى لمن يعتدى على دين المسلم أو نفسه ، أو أرضه ، أو عرضه ، أو ماله ، أو مسكنه ـ وقد فعل الصهاينة بقيادة شارون ذلك كله بالفلسطينيين .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن الله ـ تعالى ـ سيحاسب المسلم إذا ما استسلم للإرهاب والعدوان السافر الذى يقع عليه ، أو قصر فى الدفاع عن حقوقه التى

---

(١) صحيفة الأهرام فى ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤ ، ص ٩

كفلها الله تعالى له ، وأوجب عليه حمايتها ، والذود عنها فى مواجهة المجرمين المعتدين من اليهود الصهاينة » (١) .

إن إنقاذ أرض فلسطين العربية من أيدى اليهود ليس من الأمور المستحيلة على العرب بإرادتهم وليس بإرادة غيرهم ، إذ أجمعوا رأيهم وعقدوا عزمهم أعدوا لهم ما استطاعوا من قوة بعيدًا عن القوى الاستعمارية التى أقامت الكيان الصهيونى وأنشأته ، وليعلم العرب أن هذه القوى الاستعمارية لن تقدم عونًا للعرب ؛ لأن لها مصلحة فى وجود الكيان الصهيونى ، ولا يعقل أن تساعد العرب فى نكبة فلسطين ، وتحرير الأرض من براثن اليهود ، وإعادتها لأصحابها .

إن تحرير أرض فلسطين العربية لن يكون إلا بجهد العرب وسعيهم بأموالهم وأنفسهم ، وبما يعدون من قوة .

إن إنقاذ أرض فلسطين ليس بالأمر المعجز ، فعرب فلسطين لم يعترفوا بالكيان الصهيونى ، كذلك فإن الشعوب العربية لم تعترف به ، أما الحكومات العربية التى عاهدت الصهاينة باتفاقيات، فهى اتفاقيات اضطرار ، ولا يزال الناس فى كل البلاد العربية والإسلامية ينتظرون يوم تحرير الأرض المقدسة ـ خاصة وأن الاتفاقيات التى وقعت قد جاء فى إحداها : « إنه ليس من أهداف هذه الاتفاقية توطيد حق للكيان الصهيونى ـ أو الاعتراف به أو تقويته،أو إلغاء أية حقوق فى الأراضى الفلسطينية، أو الوصاية عليها ، بأى شكل من الأشكال ، كذلك أى مصالح ، أو مطالبات ، لأى طرف من الأطراف فى تلك المنطقة من فلسطين ، أو جزء منها .

وهذه الاتفاقيات لا تلغى حق الفلسطينيين الذين هُجِّروا من ديارهم عنوة من العودة إليها .

وإن ما وصلت إليه دولة الكيان الصهيونى العنصرية من قوة باطشة وعنصرية فاشية لا يعنى أنها تستعصى على العرب والمسلمين ، إذا ما اتحدوا على الحق ،

---

(١) من كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى ختام الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فى صفر ١٤٢٥هـ ـ أبريل ٢٠٠٤م باسم الهيئات الدينية الثلاث فى مصر : الأزهر الشريف ـ وزارة الأوقاف ـ دار الإفتاء .

وغيروا ما بأنفسهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) ﴾ [النساء] .

أردت أن أنبه بهذا الكتاب إلى مسيرة خطط الصهيونية ابتداء من التكوين التنظيرى للصهيونية حتى قيام الكيان الصهيونى بمساعدة الاستعمار الغربى وتمكينه لهم فى أرض فلسطين ، وطرد الفلسطينيين من أرضهم .

ولقد قسمت هذا الكتاب إلى تمهيد ، وستة فصول ، وخاتمة تبين كيف بدأت جهود الصهيونية فى اختلاق الكيان الصهيونى ، وكيف تطورت إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه ـ وذلك على الوجه التالى :

تمهيد :

بيَّنت فيه كيف عملت الصهيونية اليهودية ، والصهيونية المسيحية غير اليهودية على إيجاد مؤسسات لمعلم تاريخ يزيف التاريخ ، ويعمل على تطويع نصوص التوراة ، وتفسيرها بتفسيرات تختلق فرية أرض إسرائيل القديمة ، وأنها الوطن التاريخى لليهودى منذ آلاف السنين ، وأنها الأرض الوحيدة فى العالم التى يجب إعادة اليهود إليها،وفى الوقت نفسه تتجاهل تاريخ فلسطين، بل تنفيه من الوجود.

الفصل الأول : خرافة الأصل العرقى الواحد لليهود :

يبين أن العبرانيين الذين جالوا فى الأرض ليسوا جميعًا أبناء خلص من نسل يعقوب ، فقد اختلطوا بأعراق شتى من شمال الجزيرة العربية وبادية الشام وفلسطين ومصر ، كما اختلط بهم جموع كثيرة من قبائل رعوية كانت منتشرة فى الهلال الخصيب ، وبادية سيناء ، وكل هؤلاء تناسلوا مع أبناء يعقوب ، واختلطت أعراقهم ، قبل أن ينتشروا فى أقطار قارات الأرض ، ويتناسلوا مع شعوبها وكل هؤلاء من غير يهود الخزر ، الذين هم أصول أغلب يهود العالم الآن .

الفصل الثانى : القومية الصهيونية تخرج من بطن القومية الأوربية :

وهذا الفصل ينفى ادعاء الصهيونية بأن الجنس اليهودى يشكل قومية هى القومية اليهودية، ويؤكد أن هذا الادعاء غير صحيح ، خرج من بطن القومية الأوربية ورحمها .

الفصل الثالث : اليهودية والصهيونية منذ الأسر البابلى :

ويفصل خطط الصهيونية بتملك ما زعموا أنه أرض الميعاد (أرض فلسطين العربية) وقهر جيرانها لأنهم ـ فيما يزعمون ـ أعداء تاريخيون لهم ، ثم العمل من أجل تركيز سلطة العالم الروحية والثقافية فى صهيون .

الفصل الرابع : الصهيونية فى العصور الوسطى :

ويبين هذا الفصل عجز اليهود عن إحداث تغيير إيجابى مؤثر فى واقعهم ، فتقوقعوا فى «الغيتوات» وفى داخل أنفسهم،فوضعوا أوزارهم على كاهل «ياهو»، وجعلوه إلهًا قوميًا لليهود دون غيرهم، ومن هنا برزت جرثومة عنصريتهم ضد كل الشعوب والديانات .

الفصل الخامس : الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية :

يبين كيف تقوم فكرة الصهيونية الدينية على أساس أنهم ـ بزعمهم ـ شعب مقدس ، وأنهم يستعلون على كل الشعوب ، كما يبين هذا الفصل كيف تبلورت المفاهيم الصهيونية السياسية ملتمسة خطاها من الفكر الغربى السياسى الاستعمارى فى عبارة « أرض بدون شعب ، لشعب بدون أرض » ثم وضع المشروع الصهيونى موضع التنفيذ .

الفصل السادس : سياسة الولايات المتحدة فى دعم التفوق الصهيونى :

فيه بيان أهمية المساعدات الأمريكية ـ فى مصلحة الصهيونية ، ففى الثلاثينيات من القرن العشرين قرر الرئيس « ولسون » قيام دولة يهودية على كل أرض فلسطين ، ثم جاء « روزفلت » فقرر أن فلسطين هى الملجأ الوحيد لليهود ، والدولة اليهودية كومنولث يهودى ، وكان أبرز من عمل على ضمان تفوق الصهاينة بالسلاح ، وتهجير اليهود إلى أرض فلسطين .

خاتمة :

تبين حقيقة الكيان الصهيونى كواقع استعمارى، وأنه ملىء بالتناقضات العرقية والدينية والثقافية وأنه مهترئ من داخله ، ولن يصمد طويلاً ، أمام الصمود العربى بإذن الله .

obeikandl.com

وأود أن أنبه إلى أن نواة هذا الكتاب، والكتاب الذى سبقه (اليهود واليهودية التاريخ ـ العقيدة ـ الأخلاق) والكتاب الذى يليه : (جهود الاستعمار الغربى فى اختلاق الكيان الصهيونى) كانت محاضرات ألقيت مختصرة على طلاب قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ بالمملكة العربية السعودية، وكان فضيلة الدكتور الشيخ محمد ابن عودة السعوى حفظه الله ـ رئيس القسم آنذاك قد أشاد بها ، ومن هنا أطلقت عليها اسم « أوراق نجدية » ثم عدت إليها ، وأخذت أضيف ـ حتى خرجت بهذه الصورة ـ فشكرًا لفضيلة الدكتور السعوى ، وتحية مشرقة له ، تضيئها شمس الرياض الساطعة ، وتعطرها نسائم رباها ، كلما تذكرت الربوة الشامخة التى قامت عليها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كالطود الأشم.

وأتقدم بالشكر لابنتى الدكتورة رغدة استشارية أمراض الكبد ، وأمراض المناطق الحارة ، فقد كانت تداوم على سؤالى عن خطوات البحث ، مع انشغالها بأطفالها الأربعة ، وببحثها لنيل درجة الدكتوراه فى أمراض المناطق الحارة .

كذلك إن أنس لا أنسى أن أتقدم بالشكر والتقدير لأهل قريتى التى بها مسكنى ومستقرى : ميت سويد ـ الذين لا يكفون عن سؤالى عن قضية فلسطين كلما سنحت فرصة ـ فى الأوقات القليلة التى أخرج فيها من بيتى الريفى بالقرية ، خاصة من الذين شاركوا فى حروب فلسطين ، أو من الذين استشهد أبناؤهم وذووهم فى حروبها ، واحتسبوهم أحياء عند ربهم يرزقون .

إنهم يسألوننى دائمًا بحماس ، ويخاطبوننى بمودة ريفية مليئة بالدفء والطيبة أحيانًا ، وبالأسى على شهداء الانتفاضة أحيانًا أخرى ، فإن كان ثمة إهداء ـ فإلى هؤلاء الأحباء الطيبين ، من أهل قريتى . لكل هؤلاء خالص الشكر والتقدير ـ وكل المودة .

وثمة اعتذار أقدمه إلى من تهمهم دقة أرقام الإحصائيات ، فأحب أن أنبه إلى أنى بذلت ما فى الوسع فى هذا الصدد ، وأنى نقلت عمن وثقت به ، ولكن مع ذلك أقر بأن مسألة التدقيق فى الإحصائيات من المسائل البالغة الصعوبة .

كما أود أن أشير إلى أن ضرورة البحث كانت تضطرنى إلى أن أذكر كلمة «إسرائيل » أو « دولة إسرائيل » وما أشبهه ، وليس هذا معناه الاعتراف بالكيان الصهيونى .

وأسأل الله تعالى أن يهدى الله العرب والمسلمين إلى الحق ، وأن يجمع كلمتهم ويوحد إرادتهم وقوتهم لتحرير الأرض التى بارك الله حولها .

ميت سويد **أ.د/ السيد أحمد فرج السويدى**

فى يوم الجمعة : ٥ من صفر ١٤٢٥هـ الأستاذ المتفرغ بكلية التربية

٢٦ / ٣ / ٢٠٠٤م جامعة المنصورة

obeikandl.com

تمهيد

يؤكد الدارسون الواعون بمسيرة الصهيونية المسيحية ، وفى مقدمتهم الدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى أن الصهيونية ، ويقصد بها الصهيونية غير اليهودية التى يعتنقها خلق كثير من المسيحيين الذين يتمسكون بنصوص الكتاب المقدس بعهديه : القديم (التوراة) ، والجديد (الإنجيل) ـ أن الاعتقاد بالصهيونية غير اليهودية يمتد فى أعماق التفكير الغربى منذ عصر النهضة ، ولا يزال يتغلغل فى عقل الغرب وقلبه حتى الآن .

ويرى الدكتور المسيرى أن صهيونية غير اليهود ، سبقت الحركة الصهيونية السياسية التى اكتملت فيها تصورات الصهاينة من أجل الوصول إلى صنع الكيان الصهيونى، ولقد أفاد هؤلاء الأخيرون ـ مع كونهم يهودًا علمانيين ، غير متدينين ـ من النصوص التوراتية التى روت تطلعات اليهود الدائمة ، وآمالهم بالعودة إلى صهيون ، من أجل إقامة الكيان الصهيونى .

وساوقت هذه الأفكار التى لم تكن إلا حلمًا توراتيًا أقرب إلى التوهم تصاعد الأفكار الغربية وتطورها وتجانسها مع الواقع الإمبريالى فى القارة الأوربية . فقد تخلصت القارة الأوربية أولاً من المسلمين الذين ينتمون إلى حضارة غير أوربية ، فى جنوب إيطاليا والأندلس ، ثم بعد أن تخلصت منهم ـ تطلعت إلى الاستقلال الحضارى ، ثم فرض نفسها على الحضارات الأخرى غير الأوربية ـ كذلك تطلعت إلى امتلاك أراضٍ خارج حدودها ، وزاد ذلك من مشاعرها نحو القومية ، ثم شغلها أهمية تطهير القارة الأوربية من الأعراق الأخرى غير الأوربية ، وأبرزها العرق اليهودى الذى تسلل إليها فى عصور متراتبة .

وهذا التفكير الإمبريالى الذى سيطر على العقل الغربى أدى بالضرورة إلى الرغبة فى انتزاع اليهود من السياق الحضارى الغربى ، والإلقاء به فى حدود جغرافية لم تكن قد تحددت فى البداية ، ثم تحددت عند بلوغ الحركة الإمبريالية

الغربية ذروة تصاعدها ، يوم أن احتل الجيش الفرنسى بقيادة نابليون بونابرت مصر فى سنة ١٧٩٨م ـ بأرض فلسطين .

رأى نابليون بصفته قائدًا إمبرياليًا يمثل الإمبريالية الأوربية لا فرنسا وحدها أهمية فصل العالم الإسلامى الأسيوى عن شطره الإفريقى ، وكانت قنطرة الفصل بين الشطرين على مد بصره = أرض فلسطين العربية .

وبدأ نابليون على الفور يفاوض اليهود ، ويرسم لهم خطط تنفيذ مخططه فى اغتصاب أرض فلسطين العربية ، وهكذا أصبحت هذه الأرض موضوعًا يشغل كلاً من الإمبرياليتين : الغربية والصهيونية .

وبعد ذلك أخذت الأفكار الإمبريالية تتحول بالتدريج إلى مشروع إمبريالى صهيونى بتفريغ القارة الأوربية من اليهود عمليًا منذ القرن ١٩ التاسع عشر ، ونقلهم إلى أرض فلسطين ؛ ليكونوا كيانًا صهيونيًا استيطانيًا يوظف لمصلحة الحلم التوراتى ، ولمصلحة الإمبريالية الغربية جميعًا بعد طرد أصحابها منها ، وقد استتبع ذلك سعى كل من الاستعمار الغربى، والصهيونية لتأسيس دولة الكيان الصهيونى: يضمنه : « القانون الدولى العام » بحسب قول تيودور هرتزل الذى لم يكن يقصد فى واقع الأمر إلا القانون الاستعمارى الغربى ، أى حماية القوى الإمبريالية الغربية [١] للمشروع الصهيونى .

ولكن ! لكى يتحقق المخطط ويصير مشروعًا ، كان لابد من اختلاق افتراءات مثل :

١ ـ إن فلسطين العربية = أرض بلا شعب، واليهود شعب فقد أرضه وصاروا بدون أرض ، فلماذا لا يشرّع اختلاق استيطان من ليس لهم أرض ، بأرض لا يستوطنها شعب .

وبدت هذه الفرية غير الأخلاقية موضوعًا يشغل عقل الإمبريالية الغربية فالإنسان الغربى إنسان عصر الاكتشاف والسيطرة ، يرى أن العالم فى حاجة إلى اكتشاف، ولا يوجد من يقدر على اكتشافه إلا الإنسان الغربى = الإنسان الأبيض/ الآرى/ التيتونى/ الرومانى القوى ، فهو وحده القادر على ارتياد المناطق المجهولة

(١) راجع : عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود والصهيونية ١/٢٧ ، ٣٧ ، ٤٢ .

مثل : الأمريكتين ، وأستراليا ، وفلسطين . وبذلك سوغ الإنسان الأبيض لنفسه الحق فى السيطرة على شعوب بدائية أقل منه تحضراً ـ بزعمه ـ حتى ولو اضطره ذلك إلى إبادتها ، إن استعصت عليه استنارتها، كما فعل بالهنود الحمر فى أميركا، وبسكان أستراليا الأصليين ، وكما فعل بالعرب أهل فلسطين العربية .

٢ ـ اختلاق فرية أن أرض فلسطين هى الوطن التاريخى لليهود منذ آلاف السنين ، وأن على الإمبريالية الغربية والصهيونية واجب إعادة اليهود إلى أرض الآباء ، وعند ذلك تكون الحاجة ماسة إلى تطويع نصوص التوراة لاختلاق أرض «يسرائيل القديمة = إرتس يسرائيل » وأنها الأرض الوحيدة فى العالم الجديرة بأن تمنح لجماعة « إسرائيل » لأنها « أرض الرب » (يوشع ٩/ ٣) .

« التى يرعاها الإله» (تثنية ١١/ ١٢) و« التى يسكنها الرب » (زكريا ٢/ ١٠ ـ ١٢) و« الشعب الساكن فيها مغفور الإثم » (أشعيا ٣٣/ ٢٤) ؛ ولذلك فهى أرض مختارة للشعب المختار ، وهى « الأرض البهية » (دانيال ١١/ ١٦) .

وهذه الصيغة الدينية المأخوذة من التوراة صيغة حلولية توحد بين الإله [إله اليهود] والأرض ـ لكن الصيغة الصهيونية العلمانية تجعل الأرض الإله نفسه ـ بحسب تصريح موشى ديان الصهيونى العلمانى بقوله : « إن إرتس يسرائيل ، هى إلهه الوحيد » (١) .

وهذه الصيغة توضع فى المفاهيم المتزمتة للصهيونية السياسية ، ويعاد قراءتها لتثبيتها فى التفكير الصهيونى ، سواء الدينى منه ، أو العلمانى ، وموشى ديان الذى كان علمانيًا قحًا ، لا يهتم بالديانة اليهودية كان يجيد إعادة القراءات المتزمتة لنصوص التوراة التى تخدم أغراض الصهيونية السياسية ، فهو القائل على سبيل المثال : « إذا كنا نملك التوراة ، ونعد أنفسنا شعب التوراة ، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى المنصوص عليها فى التوراة » (٢) .

---

(١) المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/ ٧٩ .

(٢) جارودى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ٤١ ، نقلاً عن جيروزاليم بوست فى ١٠/٨/١٩٦٧.

وكان النص التوراتى الذى يقصده ديان : « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر ، إلى النهر الكبير = نهر الفرات (تكوين ١٥/١٨ و« أرض كنعان بتخومها » (سفر العدد ٣٤/ ٢) « وعدًا من الرب لموسى » (العدد ٣٤/ ١) .

وعلى هذا التفسير للنص التوراتى ، أخذت الدراسات الجامعية فى كل من الجامعات المسيحية الأوربية ـ وجامعات [دولة الكيان الصهيونى] ـ تثبّت فى عقول الغربيين والصهاينة حقًا غير مشروع للصهاينة المعاصرين، بأن يرثوا الأرض التوراتية، بحسب المأثور التوراتى ، لإضفاء شرعية مزعومة على استيطان فلسطين العربية بمستوطنين يهود فى العصر الحديث ـ وكما يؤكد جارودى بعبارة أدق « لتوسيع نطاق السيطرة [الإسرائيلية] عما كانت عليه فى عهد الملك داود ، ويجعل الملحمة السلفية بمثابة مقدمة لإعلان حق غير مشروع فى اغتصاب فلسطين » (١) .

وعند الوعد التوراتى بالأرض تلتقى كل الأفكار الإمبريالية ، والصهيونية الدينية والصهيونية التصحيحية العلمانية ، والتفسير المسيحى الصهيونى ، بدون النظر إلى كون بعضها دينيًا توراتيًا ، وبعضها علمانيًا لا دينيًا ـ فكلهم يلتقون عند الإيمان بأن الأرض الموعودة للاستيطان فى العصر الحديث ، هى ذات الأرض الموعودة قديمًا من الرب فى التوراة وهى : « أرض كنعان بتخومها ، ومن نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ـ ومن وادى العريش إلى النهر الكبير » أى الأرض المنصوص عليها فى التوراة بحسب عبارة موشى ديان .

وهذه الأرض بالمفهوم اليهودى الدينى والصهيونى قابلة للاتساع ، يشبّهها الحاخامات، ومفسرو التوراة « بجلد الجمل الذى ينكمش فى حالة العطش والجوع، ويتمدد إذا شبع الجمل وارتوى » (٢) .

وهذا يعنى أن أرض الوعد التوراتى تقبل الاتساع على الدوام بضم أراض جديدة من أراضى الأغيار إليها .

ويتفق الباحثون التوراتيون من الصهاينة والمسيحيين على السواء ، فى دعم أبحاثهم حول الموروث التوراتى للأرض الموعودة ، وحق اليهود فى العودة إليها فى العصر الحديث .

---

(١) جارودى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٤٤ .

(٢) المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/ ٧٩ .

وينقل جارودى عن « ألبير دى بورى » أستاذ دراسات العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتى فى جنيف فحوى رسالته للدكتوراه « الوعد الإلهى والأسطورة القصصية الشعائرية فى زمن يعقوب، التى تناول فيها بالعرض والمناقشة أعمال كبار المؤرخين المعاصرين والمفسرين للتوراة ، بخاصة « ألبرخت آلت » و«مارتن نوت » .

ويمكن أن يضم إلى دراسة جارودى ، دراسة أكثر أهمية لواحد من كبار المتخصصين فى حقل الدراسات نفسها ، وهو « كيث وايتلام » بعنوان : اختلاق إسرائيل القديمة ـ إسكات التاريخ الفلسطينى The Invention Of Ancient Israel, The Silencing Of Palestinian By Keith Whirtelam.

ولقد تناول وايتلام فى هذه الدراسة ادعاءات مفسرى التوراة من المسيحيين الصهاينة ـ بصفة خاصة ، بحق العودة ـ باختلاق إسرائيل قديمة ، وإسكات تاريخ الشعب الفلسطينى ـ وهو ما جعله عنوانًا لدراسته .

وهؤلاء الباحثون التوراتيون من الصهاينة اليهود ـ ومن المسيحيين الصهاينة لكى يضفوا ما زعموا أنه شرعية على التاريخ اليسرائيلى ، فقد قسموه إلى عصور مقتبسة من الدراسات اليهودية التوراتية مثل :

١ ـ عصر الآباء المؤسسين = إبراهيم وإسحاق ويعقوب من ٢٠٠١ ق.م ـ ١٥٧٠ ق.م .

٢ ـ عصر السخرة = أبناء يعقوب فى مصر من ١٥٧٠ق.م ـ ١٢٥٠ ق.م .

٣ ـ غزو بلاد كنعان بقيادة يوشع بن نون فى ١٢٠٠ ق.م .

٤ ـ مملكة داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ من ١٠٠٤ ق.م إلى ٩٦٥ ق.م [١] .

---

(١) هذه التواريخ منقولة عن د. المسيرى : الموسوعة ٨/ ٥٢، ٥٣ ويُظن أن سنة ١٦٧٥ ق.م كانت تمثل الهجرة العبرانية الأولى إلى مصر (يوسف عليه السلام وإخوته) وهم الذين استقروا فى منطقة شرق الدلتا (محافظة الشرقية الحالية) وكان زمن الهكسوس وهم غير الذين خرج بهم موسى عليه السلام ، ثم يوشع بن نون ؛ لأن ذلك الخروج كان فى القرن ١٣ ق.م فى عصر الفرعون رمسيس الثانى .

وفى هذه الحقبة الأخيرة بزعم دارسى الدراسات التوراتية المعاصرة ، أن بداية تكوين دولة يسرائيل القديمة فى سنة ١٢٠٠ ق.م ، وأن هذه الدولة أخذت شكل تطورها الكامل على يد داود فى سنة ١٠٠٤ ق.م ، بنص التوراة : « هكذا قال الرب [لداود] أأنت تبنى لى بيتًا بسكناى ؟ لأنى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم ، بل كنت أسيرًا فى خيمة ، وفى مسكن ، والآن فهكذا نقول لعبدى داود : هكذا قال رب الجنود : أنا أخذتك من المربض من وراء الغنم لتكون ـ رئيسًا على شعبى إسرائيل ، وكنت معك حيثما توجهت ، وقرضت جميع أعدائك من أمامك ، وعملت لك اسمًا عظيمًا كاسم العظماء الذين فى الأرض ، وعينت مكانًا لشعبى إسرائيل وغرسته ، فسكن فى مكانه ، ولا يضطرب بعده » (صموئيل الثانى ٧/٦ ـ ٧ ، ٩/١١) .

والكتابات التوراتية التآمرية المعاصرة التى تعتمد على نص يروى أن إرادة الرب، كانت سبب إجلائهم عن الأرض المقدسة ، وأن إرادة الرب ، هى التى تعيدهم إليها ـ وهذا يعطى الصهاينة المعاصرين بحسب مزاعم التفاسير التوراتية ـ المطالبة بحق العودة . « قال الرب : الآن أرُد سبى يعقوب عند إرجاعى إياهم من الشعوب ، وجمعى إياهم من أراضى أعدائهم وتقديسى فيهم أمام عيون أمم كثيرين ، يعلمون أنى أنا الرب إلههم بإجلائى إياهم إلى الأمم ، ثم جمعهم إلى أرضهم ، ولا أترك هناك أحدًا منهم ، ولا أحجب وجهى عنهم بعد » حزقيال ٣٩/ ٢٥ ـ ٢٩ .

فالرب كما يروى هذا النص هو الذى أجلاهم عن أرضهم ، وشتتهم فى الأرض ، وهو الذى ـ بإرادته يعيدهم إليها .

وهؤلاء الدارسون التوراتيون من اليهود الصهاينة ـ والصهاينة المسيحيين يدينون لنص التوراة ، ويجنون من الدراسات حوله مزاعم خطيرة ، ومهمة فى تبرير سياسات الصهيونية والاستعمار الغربى على السواء مثل :

١ ـ وصل الفكر الاستعمارى ، وهو فكر إمبريالى بحت بأصول مقدمة من التوراة لإضفاء قيمة دينية على الفكر الإمبريالى .

٢ ـ إن بعث تاريخ يسرائيل القديمة ـ بزعمهم ـ على أساس أنها دولة نشأت بجهود جماعات قومية عرقية كانت تعيش فى قبائل رعوية حتى سنة ١٢٠٠ ق.م ـ يؤكد الحق الذى باركه رب الأرض نفسه ، الذى يريد إعادتهم إليها ، ذلك أن الأسلاف كانوا يشكلون جماعة عضوية من البدو الرحل قبل أن يقيموا دولتهم التى اغتصبوا أرضها من الكنعانيين وغيرهم من الشعوب التى كانت تقيم فيها فى إخاء ومودة ، وها هم أخلافهم يعيشون فى بلاد متفرقة فى أوربا ، ومن حقهم أن يتركوا أراضى الشتات ، ويعودوا إلى أرضهم القديمة ، خاصة وأن الرب وعدهم بالعودة .

وتُشبِّه هذه الدراسات قيام دولة الكيان الصهيونى فى القرن العشرين ـ بقيام «يسرائيل القديمة » بشكل قومى فى كلتا المرحلتين القديمة والحديثة ، دون ما ذكر للتاريخ الفلسطينى جملة ، والويل كل الويل لمن يقدم دراسات جامعية جادة تعارض هذه الدراسات ، وتبين زيفها «فقد حورب توماسى ل . طومبسون T. L. Thompson أستاذ علم الآثار بجامعة ماركويت فى ميلووكى فى سنة ١٩٩٢م لأنه بيّن فى كتابه الذى صدر فى السنة نفسها بعنوان : تاريخ الشعب اليسرائيلى القديم من المنابع المكتوبة ، ومن الآثار Early History Of The Israelite Writteu And Archeological Sourees , Brill 1992.

« إن مجموع التاريخ الغربى ـ ومنه الصهيونى ـ حول يسرائيل واليسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال . ثم أكد ذلك بكتاب آخر فى سنة ١٩٩٩م بعنوان التوراة فى التاريخ كيف يختلق الباحثون ماضيًا» The Bille in History - How Writers , Jonathon Cape, London 1999.

فكان جزاؤه الطرد من وظيفته .

تقوم الدراسات التوراتية فى العادة على أدلة واهية فمثلاً يقول أحد الأثريين : إن التقدم الرائع الذى حصل فى علم الآثار الفلسطينى فى مجال حقبة ما قبل التاريخ Pre History قد تطور بفلسطين من سنة ١٩٢٠م وفيما بين سنتى ١٩٢٣، ١٩٢٨م فقد تم اكتشاف أوان فخارية ، ومبان حجرية تعود إلى فترة

العصرين البرونزى والحديدى ، وهى كافية على حد زعمه لتأكيد كونها ميدان مملكة داود » (١) .

وهذه المزاعم ـ من هذا الباحث التوراتى غير مؤكدة لأن اليسرائيلين لم يسكنوا وحدهم هذه الأرض فى العصرين البرونزى والحديدى، لأن هذه البلاد كانت بلاد الكنعانيين وموطنهم منذ ٤٠٠٠ سنة ق.م كما أن الدراسات تؤكد أن الكنعانيين كانوا أقوامًا متحضرين أصحاب صناعة وتمدن، قبل أن تطأ أقدام العبرانيين الرحل، هذه الأرض بأكثر من ألفى سنة ، وهناك من الآثار والوثائق والدراسات ما يؤكد تقدمهم وسبقهم ، فى ميدان التحضر والتقدم والثقافة القديمة .

إن رواة التوراة كما يؤكد جارودى ـ وهم يروون تاريخ يسرائيل فى سلسلة من العصور التى يريدون أن تبدو محددة تحديدًا دقيقًا « يدرجون كل الذكريات والقصص والخرافات، والحكايات والأشعار التى انتقلت إليهم عبر التراث الشفوى ضمن إطار مفتعل للأنساب والتواريخ ، ولكن معظم الشراح المحدثين يتفقون على أن هذه الصور التاريخية لا تعدو أن تكون صورة وهمية إلى حد كبير » .

وفى مقدمة الدارسين الذين عارضوا هذه التفسيرات المعاصرة التى تقوم على وهم اختلاق يسرائيل قديمة وأنه مبنى على الأساطير الشعائرية ، والأقاصيص الخيالية ـ السيدة فرانسواز سميث عميدة كلية اللاهوت البروتستانتى فى باريس بقولها : «لقد خلصت البحوث التاريخية التى أجريت مؤخرًا إلى الروايات التقليدية عن الخروج من مصر ، وغزو بلاد كنعان ، والوحدة القومية اليسرائيلية قبل النفى، لا تعدو أن تكون قصصًا خيالية ، فالرواية التاريخية التوراتية لا تعرض لنا معلومات عما تقصه ، ولا عمن يروونها » (٢) .

لقد نشطت هذه الدراسات التوراتية مع بداية الانتداب البريطانى ١٩٢٠م على فلسطين ، وكانت مساوقة للسعى الحثيث من قبل الدوائر الاستعمارية الغربية

---

(١) راجع مقدمة سحر الهنيدى لكتاب وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة ص ١١ ـ ١٣ ، عالم المعرفة العدد ٢٤٩ ، الكويت فى جمادى الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

(٢) جارودى الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ٤٣ ، ٤٤ نقلاً عن بحث : البروتستانت والتوراة وإسرائيل منذ ١٩٤٨ منشور بمجلة لالتر العدد ٣١٣ فى نوفمبر سنة ١٩٨٤م .

خاصة إنجلترا لنقل اليهود للاستيطان بأرض فلسطين العربية ، مما يؤكد أنها كانت أحد المشاريع الاستعمارية التى تسعى لمنح الحق لليهود فى اغتصاب أرض فلسطين العربية واستيطانها .

لقد نشطت هذه الدراسات منذ تعيين أول مندوب سامٍ بريطانى على فلسطين وهو اليهودى البريطانى هربرت صمويل (من سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥م) .

وفى الحقيقة فقد تركزت محاور هذه الدراسات التوراتية حول بعث تاريخ يسرائيل المختلق فى نقطتين مهمتين :

أولاهما : اختلاق تاريخ يسرائيل القديمة .

الثانية : بلورة فكرة قيام دولة يسرائيل القديمة ، وتضخيمها فى الفترة ما بين نهاية العصر البرونزى ، وبداية العصر الحديدى ، خاصة إبراز أهمية قيام الدولة القومية القوية المسيطرة فى عصرى داود وسليمان ، التى صورتها التوراة على أساس أنها قوة عظمى ، تكون نواة اختلاق إسرائيل الحديثة .

وعلى أساس إبراز هاتين النقطتين فى دولة يسرائيل القديمة ، يتبرر حق اليهود فى العصر الحديث فى إعادة بناء دولتهم القديمة، كما كانت تحت علم داود الملك.

وهكذا يتم انتزاع اليهود من السياق العام للشعوب التى عاشوا بينهم منذ ألفى سنة ، باختلاق واقع جديد يجمعهم فى دولة قومية ـ وهذا مجرد توهم وتزييف لحقيقة التاريخ ، فلم تكن مملكة داود غير فترة عابرة فى مسيرة تاريخ فلسطين القديم، لا تصلح خلفية لادعاءات الصهيونية المعاصرة ، التى تعمل دائبة من أجل إلغاء تاريخ فلسطين العربية منذ آلاف السنين .

وإذا كانت الدراسات المدلسة ـ تزعم أن تاريخ دولة اليسرائيلين ترجع إلى سنة ١٢٠٠ ق.م فى بداية العصر الحديدى ، فإن الدراسات الجادة تؤكد أن فلسطين التى كانت لا تزال تسمى أرض كنعان تعرضت لغزوات الفلستيين Philistines كما تعرضت لغزوات العبرانيين وكانت ثمة حروب تحدث كانت الغلبة دائمًا للفلستيين على العبرانيين فى معارك عديدة ، ما خلا الفترة القصيرة التى حكم فيها داود وسليمان ، وهى أقل من سبعين سنة .

ولقد خضعت أرض كنعان بكل من يعيشون فيها جنبًا إلى جنب من كنعانيين وفلستيين ، وعبرانيين فى سنة ٧٢١ ق.م لغزو الملك الآشورى سرجون الثانى (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م) ، لقد قام بغزو أرض كنعان بكل من فيها من الشعوب ، وقام بتهجير النخبة الحاكمة فى المملكة الشمالية ، وسبى أعدادًا كثيرة من السكان، فيما عرف بالسبى الآشورى ، وفيه اختفى اليهود المهجرون من خلال الاندماج والانصهار ، وهم من يشار إليهم فى الأدبيات اليهودية المسيحية بعبارة : قبائل يسرائيل العشرة المفقودة .

وفى القرن السابع ، وفد العبرانيون إلى مصر ابتداء من سنة ٦٦٣ ق.م فى جماعات مرتزقة يقومون بأشد الأعمال دناءة فى خدمة السادة المصريين وهو ما عبر عنه د. المسيرى : ببداية تحول اليهود إلى جماعات وظيفية .

وفى القرن السادس ق . م فى سنة ٥٨٦ ق.م تم تدمير القدس وجميع مدن المملكة والهيكل بأيدى الجيوش البابلية ، وتم تهجير نخبهم إلى بابل ، واختفت سفينة العهد ، ثم كان السبى البابلى الأكبر فى سنة ٥٨٧ ق.م [١] .

كانت الحروب والسبى يجرى على كل سكان أرض كنعان ، التى كانت قد تسمت بفلسطين ـ لغلبة الفلستين عليها منذ « هيرودوت » المؤرخ اليونانى فاختلطت كل الشعوب فى هذه الأرض بالشعوب المحيطة فى حركة اندماج عرقى ، اندثرت بسببها كل السمات الخاصة لهذه الشعوب .

إن فكرة يسرائيل القديمة لا تستند على وثائق تاريخية دقيقة ، ولكنها تعتمد على أبعاد سياسية تعضدها مشاعر دينية يهودية ـ ومشاعر دينية مسيحية ، وتقوم هذه الأخيرة على أساس أن المسيحية خرجت من جوف اليهودية ورحمها ، ومن ثم ينظر إليها باعتبارها جرثومة الحضارة الغربية المسيحية التى نبت منها أصلها .

وتضافرت حركة التنوير التى ظهرت فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ، ثم انتقلت إلى كل بلاد أوربا حتى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وانتشرت بين اليهود الذين يعيشون فى أنحاء أوربا ـ مع الصهيونية ذات الديباجة المسيحية ،

---

(١) راجع : المسيرى : الموسوعة ٨/ ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨ .

وعلى أثرها بدأت التحولات فى الفكر السياسى المنهجى بين النخب فى أوربا ، وفى إنجلترا بصفة خاصة لحل مشكلة اليهود بالتفريغ والملء ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وامتزج فى هذه المرحلة الحاسمة الفكر اللاهوتى بالأبعاد السياسية، وبدأ العلماء يفكرون فى اختراع دراسات توراتية ، تأخذ صيغة الدراسات العلمية الموضوعية التى تختلق مادة يسرائيل القديمة « وهى فى الحقيقة كانت ممارسة للقوة التى تحركها دوافع إمبريالية » (١) .

وإن هذه الدراسات التى زيفت التاريخ ببراعة وحنكة يصعب اكتشافها لأسباب دينية وإمبريالية ارتبطت بالثقافة الغربية التى تخضع « للقانون الغربى العام » أو بمعنى أدق تخضع « للقوى الإمبريالية الغربية » (٢) ؛ ولهذا السبب نفسه رأى إدوارد سعيد :

* إن إبراز دراسات فلسطينية قديمة [وإن أمر معارضة هذه الدراسات ودحضها] بات مسألة فى غاية الصعوبة؛ لأنه تلزم القراءة بطريقة معارضة Contrapuntal Reading للتاريخ الفلسطينى ـ لوجهة النظر الغربية ، إن فلسطين كانت وطنًا لحضارة لافتة للنظر لقرون طويلة قبل هجرة القبائل العبرية إليها » (٣) .

وهذا التزييف الذى تتعمده الدراسات التوراتية الملفقة تدحضه الدراسات الجادة البعيدة عن الأهواء،مثل دراسة عالم الآثار اليهودى ـ أستاذ الآثار فى جامعة تل أبيب زئيف هرتزوج فقد نشر فى صحيفة ها إرتس فى ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٩م مقالاً يتضمن قوله : « إن سبعين سنة من الحفريات التى بدأت منذ بداية حكم الانتداب البريطانى سنة ١٩٢٠ وحتى الآن ـ قد برهنت على الزيف الكامل للحكايات التوراتية » (٤) .

إن فيما سلكته بريطانيا على درجة الخصوص ، منذ الانتداب البريطانى على فلسطين فى سنة ١٩٢٠م وصدور قانون الآثار للتنقيب فى أرض فلسطين ، جعل

---

(١) كيث وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة ص ٢٩ .

(٢) المسيرى : الموسوعة ١/ ٥٤٢ .

(٣) نقلاً عن وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة ، ص ٣٣ .

(٤) محمد السيد سعيد مقال زهرة المدائن ـ صحيفة الأهرام فى ١/ ٩/ ٢٠٠٠ ، ص ٨ .

خطاب الدراسات التوراتية الخاصة بآثار أرض فلسطين شيئًا مقبولاً لدى الغرب الإمبريالى ، وإن دراسات علم الآثار الحديث الذى يخدم الكيان الصهيونى ، منذ دخل نابليون مصر فى سنة ١٧٩٨م ما هى إلا قصة المؤامرة الإمبريالية الدولية ، التى استخدمت نصوص التوراة فى تأييد مزاعم الكشف عن كنوز أثرية فى المنطقة، هو نفسه معادل للبحث عن جذور يسرائيل القديمة ، الذى يضفى الشرعية عن الدولة الصهيونية الحديثة ، ويسكت البحث عن تاريخ أهم للمنطقة العربية كلها ؛ ولهذا فعندما صدر وعد « بلفور » حرص الذين صاغوه على أن يركزوا على عبارة وطن قومى لليهود = Home Land مع إهمال ذكر سكان فلسطين الأصليين من العرب ، وعندما اضطروا إلى أن يشيروا إليهم ، أشاروا بعبارة : الجماعات غير اليهودية ، وكانوا آنذاك يمثلون ٩٥٪ من عدد السكان بفلسطين ، ولم يكن هذا الإهمال من قبل القوة الإمبريالية المتمثلة فى إنجلترا التى صاغت وعد « بلفور » إلا لكونهم يمثلون الحضارة الأقوى التى تمثل بنظرهم مركز الكون ، ونهاية التاريخ ؛ ولذا فإن حقوقهم الإمبريالية كانت « حقوقًا مركزية مطلقة » (١) .

كان الاهتمام باختلاق « يسرائيل قديمة» يتفق مع حركة القوميات الغربية فى القرن ١٩ كما يتفق مع اتجاهات البحث التآمرى فى الغرب الذى يزيف التاريخ ، ويصور « كيث وايتلام » هذه الرؤية قائلاً : « إن الرؤية لا تزال مهيمنة على تصور إمكان إعادة بناء تاريخ إسرائيل قديمة ، يقوم على أساس أن التراث التوراتى يوفر القاعدة الأساسية والمصدر الرئيسى للمؤرخ فى شؤون إسرائيل ، ومهما تكن البصيرة التى يتمتع بها أولئك الذين يدرسون التركيب المراوغ للسرد التوراتى على أن « العهد القديم » « التوراة » كتاب تاريخ يظل شيئًا مسيطرًا على الباحثين فى تاريخ إسرائيل القديمة ، وعلى الذين يدرسون فى كليات اللاهوت وعلوم الدين، والدراسات الدينية ، ولقد اقترن ذلك بنموذج للبحث العلمى ، يزيد من قوة الاعتقاد بأننا نتعامل مع ناقلى تراث يمكن الوثوق به ، كما يقوى الاعتقاد بأن الباحثين المحدثين ورثة الموضوعية العلمية ، ويوفر النموذج التشريحى فى البحث التاريخى ، أى المنبر الذى تتقاطع عنده طرق البحث القديمة والحديثة التى تطمئن

---

(١) المسيرى : الموسوعة ١/ ٤٢ .

القارئ على أن رواية إسرائيل الحديثة لماضيها ، رواية موضوعية صحيحة جديرة بالثقة » (١) .

ولكن مع أن هذه الدراسات تحاول إخفاء تاريخ فلسطين القديمة ، فإنها لم تستطع إخفاءه لأنها فى طيات ما تكتب يدفعها ما تكنه من البغض لغيرها من سكان الأرض نفسها من الكنعانيين ثم من الفلسطينيين إلى ذكر أخبارهم ، وإن كان ذلك يتم بطريقة مشوهة، وعلى سبيل المثال تزعم هذه الدراسات بأن السكان من غير اليهود كانوا لا يتمتعون بالحس القومى ، أو حتى الوعى بقيمة المواطنة وأهميتها ، وأن من بقى منهم من أجل ذلك ـ بزعمهم ـ يستحقون الإبادة مثلما أباد الأمريكيون الهنود الحمر فى أثناء غزو البيض لأميركا ، ويقول : « أولبرايت » وهو من أخطر الدارسين التوراتيين المختلقين لإسرائيل القديمة : « نحن الأمريكيين قد يكون لنا حقوق أقل من باقى الدول المتمدنة على الرغم من إنسانيتنا الحقيقية ، فى أن نصدر أحكامًا على الإسرائيلين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد (١٢٠٠ ق.م) [حيث أباد يشوع ـ كما تزعم التوراة ـ كل من كانوا بأرض كنعان] لأننا قمنا عن قصد أو بغير قصد بإبادة آلاف السكان الأصليين فى كل بقعة من أرض أمتنا العظيمة ، ووضعنا البقية الباقية منهم فى معسكرات الاعتقال « ومن وجهة النظر غير المنحازة لفلسفة التاريخ يبدو أنه من الضرورى فى أحيان كثيرة اختفاء شعب ذى مستوى متدن إلى حد بعيد ليحل محله شعب ذو صفات متفوقة ، حيث يتحتم الوصول إلى مرحلة لا يمكن للاندماج العرقى أن يستمر دون حدوث كارثة.

« لقد كان من حسن حظ ديانة التوحيد [اليهودية] ومستقبل بقائها أن قام الإسرائيليون بغزو فلسطين (يوشع بن نون) لأن سكانها كانوا أقوامًا همجية ذات طاقات بدائية، لأن الهلاك الذى نتج عن هذا الغزو للكنعانيين السكان الأصليين ، منع الاندماج الكامل لشعبين ، ذلك الاندماج الذى كان سينتج عنه بالضرورة انحطاط للقيم اليهودية إلى درجة يستحيل إصلاحها » (٢) .

---

(١) كيث وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة ، ص ٦٠ .

(٢) وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة ص ١٤٥، ١٤٦ نقلاً عن وليام أولبرايت = أستاذ الدراسات السامية بجامعة هوبكنز ـ عمل مديراً للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية فى القدس .

« أولبرايت » كاتب هذا النص غير الأخلاقى ، يزعم أن يشوع (يوشع بن نون) أباد الكنعانيين ، ولنلاحظ أنه لم يذكر الفلسطينيين الذين كانوا يشاركونهم السكنى فى الأرض والحياة فيها ، وهذا لم يحدث إلا فى مخيلة كتبة الأساطير التوراتية ، ولكنه يباركه مباركة تتواطأ مع إبادة الأوربيين البيض لسكان أميركا من الهنود الحمر، دون ما سبب إلا نشدان نشر المسيحية وحضارتها فى القارة الجديدة، ويريد أن يؤكد أنهم فعلوا نفس الفعل الذى قام به العبرانيون بقيادة يشوع كما تزعم التوراة بإبادة الكنعانيين الوثنيين فى سنة ١٢٠٠ ق.م ، تلك الإبادة المزعومة المبررة بحتميتها من أجل نشر القيم اليهودية التوحيدية .

قال : « أولبرايت » ذلك بعنصرية سافرة .

يقول وايتلام : « إن هذه الأفكار تدعمها الصهيونية الثقافية ، ولهذا رأى «أولبرايت» أن إسرائيل القديمة كانت ورشة العمل التى أنتج فيها اليهودية ثلاث ومائط للثقافة الغربية هى :

١ ـ التوراة العبرية = العهد القديم .

٢ ـ العهد الجديد = الإنجيل .

٣ ـ الناموس الثانى Secoud Law .

يقرأ التلاميذ فى الغرب هذه الوسائط الثلاثة فتظل فى وجدانهم ، تملأ عواطفهم حبًا للكتاب المقدس بما اختلقه من أخبار عن « يسرائيل القديمة » .

تلك هى الصهيونية المسيحية الممتدة فى الفكر الغربى منذ عصور طويلة ، والتى تخدم بدورها الصهيونية اليهودية السياسية ، التى أخذت فى التبلور منذ القرن ١٨ الثامن عشر ، وهذه الصهيونية المسيحية تتحكم فى المثال الفكرى الغربى فى الدراسات التوراتية ؛ لأنها تنبع كما يؤكد د. المسيرى : « من صفحات العهد القديم ، وتطلعات الصهيونية للعودة إلى أرض صهيون » .

وهكذا تستخدم الأساطير الخرافية التى تدور حول نصوص من التوراة فى سياق الأهداف الإمبريالية/ الصهيونية،فى خدمة الصهيونية التصحيحية [العلمانية] فى «اختلاق إسرائيل جديدة» قومية فى مكان إسرائيل القديمة المختلقة أو المتخيلة.

وبما أن الشتات قد حدث بإرادة الرب (حزقيال ٣٩/ ٢٥ ـ ٢٩) أزمانًا طويلة تمتد لأكثر من ألفى سنة ، فقد سنحت الفرصة للعودة للوطن القومى مرة أخرى (حزقيال ٣٩/ ٢٩) بقيادة أبطال أفذاذ لا يقلون فى بطولتهم عن يشوع والملك داود.

ولا تنسى الدراسات أن تذكر أن يشوع وداود قضى على نفوذ أجناس عن غير يهود مثل الكنعانيين والفلسطينيين قبل الميلاد ـ كانوا بزعمهم متخلفين ، وأحل محلهم دولة متقدمة ذات حضارة، وهذا الزعم يروى فى سياقات الكتابات التآمرية الإمبريالية/ الصهيونية الحديثة = يعادل مقولة أن أنبياء الصهيونية الجدد ، قد جاؤوا ليستوطنوا بلدًا قفرًا خاليًا من السكان ، ليعمروه بالزراعة والصناعة المتقدمة، ولينشروا فيه قيم الحضارة الغربية الحديثة ، ومنجزاتها المدنية ، والعلم والتقدم.

وإن مهمة هذه الدراسات التآمرية هى إضفاء شرعية مزعومة (غير شرعية) على سيطرة إسرائيل جديدة على المنطقة ذاتها التى سيطرت عليها مملكة داود قديمًا على أن تظل تمثل قومية منفصلة عن محيطها الحديث ، كما كان الحال فى مملكة داود القومية التى كانت منفصلة عن محيطها القديم .

وفى الوقت نفسه تعمل هذه الدراسات التآمرية على نفى فلسطين والفلسطينيين من التاريخ ، فلا ثمة فلسطين ، ولا فلسطينيون تقول جولدامائير : «ليس هناك شعب فلسطينى ، ولم يكن الأمر أننا جئنا وأخرجناهم من ديارهم ، واغتصبنا أرضهم ، فلا ثمة وجود لهم أصلاً » (١) .

أما الصهاينة ـ فكما يزعمون ـ على لسان الزعيم الصهيونى «حاييم وايزمان»: إننا لم نأت بل عدنا = We Are Not Coming But Returning

ومن رحم الكتابات التواطئية من قبل الصهيونية المسيحية والإمبريالية الغربية والصهيونية السياسية التصحيحية خرجت الادعاءات الصهيونية الحديثة فى حق اليهود بالعودة إلى أرضهم ، ولقد أثيرت هذه الادعاءات التى تحولت إلى قضايا بشكل صريح من قبل قيام الكيان الصهيونى ، وبانت أهم قضاياهم وأخطرها على

(١) جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢٢٣ .

الوجود العربى على أرض فلسطين ففى سنة ١٩٤٠ كتب « يوسف فيتز » مدير الصندوق القومى اليهودى : ينبغى أن يكون واضحًا بالنسبة لنا أنه لا مكان لشعبين فى هذا البلد [فلسطين] فإن غادره العرب فسوف يكون كافيًا لنا ، وليست هناك وسيلة أخرى غير طردهم جميعًا ، حتى لا يبقى لهم أثر فى أى مدينة أو قرية ، ويجب أن نوضح للرئيس الأميركى روزفلت ، ولقادة الدول الصديقة بأن أرض [إسرائيل] لن تكون صغيرة إذا ما غادرها العرب جميعًا ، وإذا ما اتسعت الحدود إلى الشمال على طول نهر الليطانى ، وإلى الشرق باتجاه مرتفعات الجولان » (١) .

وقال مسؤول صهيونى فى سياق مقال نشرتها صحيفة « بديعوت أحرونوت » فى ١٤/٧/١٩٧٢م : « إنه لا وجود للصهيونية ، أو الاستيطان ، أو الدولة اليهودية ، بدون تهجير العرب ومصادرة أراضيهم » .

ومن هنا بدأ الصهاينة منذ سنة ١٩٤٨ ينزعون الأرض من أصحابها ، وكانت وسيلتهم قتل جميع من فى القرى التى يدخلونها ، وهى آمنة مطمئنة فيقتلون كل من فيها بالصورة التى حفظوها عن سفر يشوع ، وهى وسائل لم يتبعها أشد المستعمرين عنفًا ، بعد إضفاء الطابع العنصرى عليها ، كما حدث فى مذبحة قرية دير ياسين فى سنة ١٩٤٨م ، ومذبحة كفر قاسم فى ٢٩ من نوفمبر ١٩٦٥م ، والمجازر التى ارتكبتها الوحدة ١٠١ التى شكلها « موشى دايان » وتولى قيادتها الإرهابى « أرئيل شارون » وأسفرت عن تفريغ مساحات شاسعة من الأراضى من أصحابها والاستيلاء عليها ، لا تزال محفورة فى ذاكرة العرب .

وتعمل الحكومات الصهيونية المتتابعة على محو كل أثر للعرب حتى يرسخوا مقولة أن فلسطين كانت أرضًا قفرة قبل مجيئهم إليها ، ومن أجل ذلك يتم تدمير القرى العربية ببيوتها وأسوارها وحتى قبورها ، فحتى سنة ١٩٧٥ تم محو ٣٨٥ خمس وثمانين وثلاثمائة قرية دمرتها الجرافات عن آخرها من بين ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة قرية عربية كانت موجودة سنة ١٩٤٨ « وكانت المحصلة النهائية هى : تشريد مليون ونصف المليون فلسطينى عربى اضطروا لترك منازلهم ، أما

---

(١) جارودى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

أرضهم التى تم الاستيلاء عليها فقد أصبحت تمثل ما يزيد عن ٩٣٪ من إجمالى أرض فلسطين العربية ، التى بأيدى اليهود ، بعد أن كانت المساحة التى تحت أيديهم لا تزيد عن ٦,٥٪ فى سنة ١٩٤٨م .

ويصور « كلود كلاين » مدير معهد القانون المقارن فى الجامعة العبرية بالقدس فى كتاب : « الطابع اليهودى لدولة إسرائيل » باريس ١٩٧٧م ، ص ٣٣ تعليقًا عما إذا كان « قانون العودة » يمثل أحد صور التمييز العنصرى التى تحظرها «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التفرقة العنصرية التى صدقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢١/ ١٢/ ١٩٦٥م فقال : « لا يجوز اتخاذ أى إجراء ضد جماعة بعينها من السكان ، وقد اتخذ قانون العودة لصالح اليهود الذين يرغبون فى الاستقرار فى إسرائيل ، دون أن يكون موجهًا ضد أية جماعة أو قومية بعينها ، ومن ثم فنحن نرى أنه لا ينطوى على التمييز بأى حال من الأحوال » (١) .

وهذا رد بارد من قانونى صهيونى ، يشارك فى إصدار القوانين الجائرة على العرب الفلسطينيين، وأحد المثقفين المتواطئين من أجل ترسيخ فكرة اختلاق إسرائيل القديمة ، لإقامة [إسرائيل] جديدة مكانها ، ولا ينتظر منه أفضل من ذلك.

وفى سبتمبر سنة ١٩٩٥ أعدت القناة الرابعة فى التلفزيون البريطانى ثلاث حلقات أسبوعية ، شاركت بها الحكومة [الإسرائيلية] باحتفالات القدس ، قيل إن الهدف منها تأكيد صحة القصص التوراتية التى تروى استيلاء بنى يسرائيل على أرض فلسطين القديمة وخلاصتها :

١ ـ أن اليسرائيليين استولوا على هذه الأرض مرتين : الأولى بقيادة يشوع فى القرن ١٣ ق.م ، والثانية بقيادة داود فى بداية القرن العاشر ق.م .

٢ ـ فى كل من المرتين قام اليسرائيليون بتدمير مدنهم وإبادتها ، وهذا يبرر تدمير فلسطين الحالية وإبادتها وقتل أهلها ـ والاستيلاء عليها .

والقصص التوراتية المرجعية التى ذكرت هذه الأحداث لم تدون إلا بعد موسى

---

(١) راجع جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، الفصل الرابع : خرافة أرض بلا شعب ، لشعب بلا أرض ، من ص ٢٢٣ ـ ٢٥٢ .

ويشوع بسبعة قرون فى القرن السادس ق.م عندما كتب عزرا التوراة البابلية فى بابل ثم إن هذه الكتابات قد تعرضت لتعديلات فيما بين القرنين السادس والثالث قبل الميلاد ، فقد كان الكتبة اليهود يستعيرون من الكتابات المصرية المدونة فى المعابد التى تروى انتصارات الفراعنة ـ خاصة فتوحات تحتمس الثالث المدونة فى معابد الكرنك التى شهدت تكوين مستعمرات الدولة المصرية القديمة أكبر اتساع بالفتوحات فى الدول المجاورة ، وقد نقل كتبة التوراة هذه المدونات ونسبوها إلى داود عليه السلام .

حقًا كان لداود عليه السلام بطولات وحد فيها كل من يعيشون فى أرض كنعان ، فى حدود الرسالة السماوية التى بعث بها ، ولكنه لم يكن ملكًا مثل تحتمس الثالث كما صورته الكتابات التوراتية .

وكان خروج يشوع ـ فتى موسى ـ من مصر فى القرن ١٣ ق.م ولما دخل أرض كنعان بدأ بحصار أريحا ـ كما تروى التوراة ، وأبادها بأمر التوراة بالقتل والإحراق هكذا قصت التوراة ، ثم ذهب ومعه جنوده إلى مدينة حصينة أخرى اسمها عاى على بعد أميال غربى أريحا واستولى عليها ، وفعل بها وأهلها ما فعله فى أريحا وهكذا حاصر كل المدن فدانت له ، كما تحكى التوراة .

ومن وجهة نظر الدراسات التوراتية ، فإن هذه القصص والأساطير لا تقبل المناقشة مع أن اليهود لا يملكون دليلاً واحدًا على أنها صحيحة ، ومن ثم فقد اخترعوا الدراسات الملتوية لكى يختلقوا بها [إسرائيل] قديمة ، تبريرًا لإيجاد [إسرائيل] حديثة .

ولكن فى منتصف القرن العشرين ظهرت مدارس تاريخية أثرية ، التزمت بالدراسات التاريخية لهذه الأساطير بشكل موضوعى ،ومن بين هؤلاء دراسات : «كاثلين كينيون » البريطانية و« أميجاى إزار » ، و«أهارونى» [الإسرائيليين] وأيد علماء الحفريات دراساتهم ، وأيدتهم كذلك بعض الدراسات التوراتية الجادة التى توصلت إلى أن كتاب يشوع لا يمثل حقيقة تاريخية ، وإنما هو مجرد صياغة تدخلت فيها عوامل نفسية اعتملت فى صدور كتبة التوراة فى أثناء كتابته ، وفى أثناء إلحاق التعديلات به .

وتقع بقايا أريحا التى تدور حولها أساطير التوراة وأقاصيصها فى منطقة تل السلطان على بعد ميل شمالى غرب أريحا الحالية ، على الطريق الذى يربط نهر الأردن بالقدس وكان لهذه المدينة القديمة سور يبلغ سمكه مترين ، وتحرسها أبراج عالية ترتفع تسعة أمتار، ولأهمية هذه المدينة قديمًا فقد دمرت وأعيد بناؤها مرات عديدة ، كان آخرها فى القرن السادس عشر ق.م أى قبل يشوع بثلاثة قرون .

وكانت هذه المدينة مركزًا للهكسوس فى القرن ١٧ ق.م إلى أن استطاع المصريون هزيمتهم وطردهم من مصر، وتتبعهم إلى أرض كنعان وحطموا حصونها، ومنها حصون أريحا فى القرن ١٦ ق.م وكان هذ الانتصار الساحق الذى حققه المصريون طريقًا إلى تكوين إمبراطوريتهم القديمة ما بين النيل والفرات فى عصر الأسرة الثامنة عشرة فى القرن ١٥ ق.م بقيادة تحتمس الثالث . ومن هنا نبت حلم كتبة التوراة الذين كانوا يحقدون على المصريين الذين قهروهم ، وأخرجوهم من مصر ، وكونوا دولة كبرى تمتد من النيل إلى الفرات ـ تلك كانت حقيقة تحققت للمصريين ، ثم صارت حلمًا راود كتبة التوراة .

وظلت أريحا أطلالاً لا يسكنها أحد بعد ذلك لمدة أربعة قرون ، وهذا يعنى أنها لم تكن موجودة ، عندما دخل يشوع أرض كنعان ، إلا حلمًا لدى كتبة التوراة . وقد أكدت أعمال الحفر التى قامت بها الأثرية البريطانية « كاثلين كينيون» بين سنتى ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨م فقد « أثبتت أن أريحا لم يكن لها أسوار فى أيام يشوع، وأن هذه الأسوار لم تبن ثانية على الإطلاق ، وأن المدينة كانت مهجورة لا يسكنها أحد فى ذلك الزمان » .

« أما عاى التى يذكر سفر يشوع أنها كانت المدينة الثانية التى سقطت فى يد بنى إسرائيل عند دخولهم أرض كنعان ، فقد أظهرت نتائج الحفريات أنها كانت قد تحطمت فى بداية العصر البرونزى فى القرن ٢٤ ق.م أى من قبل أحد عشر قرنًا قبل يشوع ، ولم تسكن مجددًا إلا فى القرن ١٢ ق.م إذ بدأت قرية صغيرة آخذة فى النمو » .

وينطبق على باقى المدن ما يؤكد النتيجة نفسها ، من أن تدمير المدن وسقوطها

فى يد يشوع كانت غير مأهولة ، ولكن الروايات التوراتية تملأ فراغ أحلام اليهود فى التشبه بالمصريين القدماء فى قوتهم وقدرتهم على السيطرة ، وإن هذه الروايات ما هى إلا أساطير خرجت من قلب كسير يحلم بالقوة والتفوق « وعلى ذلك يتبين أن بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ، ودخولهم أرض كنعان بالحيلة والخديعة، لا بالحرب ظلوا حوالى قرن من الزمان يقيمون فى منطقة سعير الجبلية الوعرة الواقعة جنوبى البحر الميت ، وأن دخولهم أرض كنعان كان على شكل تسلل قامت به جماعات متفرقة من قبائلهم ، وعلى فترات ومراحل متباعدة ، وكانت المناطق التى سكنوها فى شرق فلسطين هى المناطق المهجورة والجبلية البعيدة من المدن ، التى كان يسكنها الفلسطينيون الذين اقترحوا مع القبائل الكنعانية يبنون المدن المحصنة على طول الساحل الغربى » .

كما تؤكد الوثائق والحفريات أن « أرض كنعان ظلت خاضعة للسلطة المصرية حتى نهاية عصر الملك رمسيس الثالث ثانى ملوك الأسرة العشرين الذى حكم ما بين سنة ١١٨٢ ـ ١١٥١ ق.م » [1] ، وهذا يعنى أنه لم يكن فى مقدورهم أن يكونوا دولة فى هذه الحقبة إلى أن جاء داود وسليمان ـ عليهما السلام ، فتحققت لهم دولة لمدة أقل من سبعين سنة لأول مرة ولآخر مرة فى التاريخ القديم .

إذن ـ فلقد استخدمت الدراسات التوراتية التواطؤية من قبل كل من الاستعمار والصهيونية فى صنع فرية اختلاق « إسرائيل جديدة » فى مياق كيان قومى ، كما تم تنفيذ مشروع « قانون العودة » إلى أرض فلسطين بموجبها ـ وبجهود الصهيونية السياسية وتمكن الإمبريالية الغربية ـ بالتطبيق العملى للتصورات النظرية ـ وأفاد الصهاينة كل ما جاء بهذه الدراسات ، وهم يعلمون أنها غير صحيحة ، بل مزيفة، فى اختلاق [إسرائيل] جديدة ، وربطوا الماضى: اختلاق يسرائيل قديمة ـ بالمعاصر:

---

(١) ما بين علامات التنصيص منقول من بحث أحمد عثمان : التلفزيون البريطانى يشارك حكومة إسرائيل فى تزوير التاريخ صحيفة الحياة اللندنية فى ١٩٩٥/٩/٢٢ ص ٢١ .

ويقول المؤرخ اليهودى إسرائيل فيلكستين الأستاذ بجامعة تل أبيب : « إن سفر يشوع لا يحتوى على أية حقائق تاريخية ، وإنما على قصص أسطورية كتبها الشعراء من كتبة التوراة » نقلاً عن أحمد عثمان ـ المرجع السابق.

اختلاق [إسرائيل] جديدة ـ وسواء كان ذلك وهمًا أو من صنع الخيال ، فإنه أصبح واقعًا قال بن جوريون فى افتتاحية إعلان ما سمى بإعلان الاستقلال : «لقد كانت أرض [إسرائيل] مسقط رأس الشعب اليهودى ، وهنا تكونت هويتهم الروحية والدينية والقومية ، وهنا حقق الشعب اليهودى الاستقلال ، وأنشأ ثقافة كان لها أثر قومى وعالمى ، وهنا أيضًا كتبوا الكتاب المقدس ، ووهبوه للعالم ، وبعد النفى من أرض [إسرائيل] ظل الشعب اليهودى وفيًا لهذه الأرض فى جميع البلدان التى تشتت فيها ، ولم ينقطع قط عن الصلاة ، والأمل فى العودة إليها لاستعادة استقلالها القومى ، بدافع الرابط التاريخى (١) .

لكن العلماء الجادين فى الغرب من المسيحيين واليهود على حد سواء ـ وإن كانوا قليلى العدد ، قليلى التأثير ـ يؤكدون مدى زيف هذه الدراسات ، ومدى التدليس التاريخى فى مساقات الكتابات التى تهتم بالمشكلة الفلسطينية .

ويرى د. كمال صليبى فى دراساته القيمة حول نص التوراة الذى اعتمدت عليه الدراسات اليهودية الصهيونية والمسيحية الصهيونية مدى زيف الدراسات التوراتية ، وأن زيف هذه الدراسات التى أسموها مباحث علم الآثار التوراتى ، يرجع إلى أنه لا يبحث فى حقائق كائنة ، ولكن يبحث فيما يأمل أن يحققه ، ولهذا فإن الباحثين التوراتيين يلجأون فى الأغلب إلى المراوغة واللف والدوران ، لإثارة النقاشات الضبابية » ، ومن ينظر فى سفر صموئيل الثانى يجد تلك الكتابات المراوغة التى تقول : إن الرب نصر داود على كل الشعوب المحيطة بأرض كنعان ، وفى تسبيحة حمد داود (صموئيل الثانى ٢٢ يقول داود : الإله المنتقم لى ، والمخضع شعوبًا تحتى ، والذى يخرجنى من بين أعدائى ، ويرفعنى فوق القائمين علىّ » (صموئيل الثانى ٢٢/ ٤٩ ، ٥٠) .

ولأن داود الأول أقام أول دولة قومية ـ على أنقاض شعوب غير يهودية ، فلماذا لا يقوم بين يهود العصر الحديث داود ثان ليعيد بعث الدولة القومية من جديد .

---

(١) وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة هامش ص ٢٢٧، ٢٢٨ ، نقلاً عن كمال صليبى : خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ـ دار الساقى فى سنة ١٩٩١م ، وأيضًا حروب داود الأجزاء الملحمية من سفر صموئيل الثانى ـ عن النص العبرى ـ دار الشروق ط١ فى سنة ١٩٩٠م .

هذا فضلاً عن أن كتابة التوراة يرجع إلى تاريخ متأخر عن زمن تاريخ الدولة القومية العبرية التى أسسها داود فى سنة ١٠٠٤ ق.م فتاريخ كتابة التوراة أول مرة ترجع إلى عزرا فى السبى البابلى فى بابل فى سنة ٥٨٧ ق.م ، أى بعد تأسيس دولة داود بنحو من خمسة قرون .

ونص التوراة الذى كتبه عزرا اختلطت به كل طموحات اليهود فى المنفى ، وآمالهم، وأشجانهم، وأقاصيص حياتهم قبل المنفى وبعده، أى أنه كتاب تراث شعبى أكثر منه كتابًا مقدسًا يضم ألواح موسى ، دون غيرها من النصوص ، مما جعل خطاب الدراسات التوراتية يحمل من التناقض ، أكثر مما يحتوى من موافقات.

وإنه لمن المهم أن يتضمن البحث فى الدراسات التوراتية الاعتبارات الأيديولوجية التى أثرت فى كتبة التوراة أنفسهم، وجعلتهم يكتبون ما هو متخيل على أنه واقع، كما أن النزعة القومية التى يضفيها الدارسون التوراتيون للماضى خاصة المتصلة بدولة داود القومية ـ كما يزعمون ـ لم تكن موجودة على الإطلاق ، ولكن تم افتعالها ولصقها بالماضى ، من أجل تسييسها لاختلاق دولة إسرائيل المعاصرة ، وهو ما يصدق عليه قول وايتلام فى كتابه: اختلاق إسرائيل القديمة : « لقد سُمح للادعاءات الاحتكارية للتوراة بأن تملى شروطها على تصور الماضى ، وكان هناك تسرع غير لائق فى ربط مكتشفات أثرية بالتراث التوراتى ، وربط هوية أى شىء مدمر بإحدى المعارك المذكورة فى التوراة ، أو الربط بين تحصين موقع ما ، وبين خطة الإعمار لأحد ملوك يهودا ، أو إسرائيل ممن ورد عنهم بعض العبارات فى التاريخ التوراتى فى سفر التثنية .

أما العوامل الاجتماعية والبيئية ، وتذبذب الدورات الاقتصادية فقد تم تجاهلها لمصلحة البديل السهل ، وهو قبول استكمال الماضى وبنائه بحسب ما تقدمه الثورة العبرية » (١) .

ويؤكد جارودى زيف الادعاءات فى الدراسات التوراتية عن يسرائيل القديمة ، فقد قرأ فى ١٦ من نوفمبر سنة ١٩٩٤م مقالين لمؤرخين إسرائيلين ، يكشفان عن

---

(١) وايتلام : اختلاق إسرائيل القديمة ، ص ٣٥٥ .

بعض الدراسات الجادة حتى سنة ١٩٩٤م بعد البحث عن أية وثائق تثبت ما زعموه بالتاريخ التوراتى ليسرائيل القديمة ـ قالا : « إن الجامعات، ووزير التعليم الإسرائيلى طوروا رؤية رسمية للدولة ، وللتاريخ اليهودى مؤسسة على أساطير غير مبرهنة ذاتيًا » (١) .

ثم ذكر قولاً لمؤرخ إسرائيلى (توم سيجيف) كتبه فى صحيفة ها إرتس قال : «الدولة الإسرائيلية قامت على الأساطير منذ بدايتها، المؤرخون الجدد يعملون فى بلاد لا يوجد فيها نتاج سابق لمؤرخين بالمرة،لكن يوجد فيها علم «الأساطير القومية» المدخل إلى أرشيف جديد يتيح إعادة بحث كثير من المسائل الأساسية (٢) .

لكن مثل هذه الشهادات لا تخرج من خزانة الصهيونية ، ولا يُلتفت إليها داخل الكيان الصهيونى ـ ولا يسمح لأحد أن يتناولها ، أو ينطق بها لسانه ، إذ يتعرض بعقوبة الحبس سنة لكل من ينتقد الثقافة التوراتية الذرائعية المبنية على الخرافة .

(١) جارودى : محاكمة جارودى ، ص ٩٨ عن كوريبه إنترناسيونال فى ١٦/ ١١/ ١٩٩٤م .
(٢) جارودى : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

obeikandl.com